زوجه صرفًا، لا يكاد يراها إلا تولى عنها أسفًا محزونًا، فإذا خلا إلى نفسه جلَّى الشيطان له أجمل النساء وجهًا، وأحسنهن قوامًا، وأشدهن للرجال فتنة، وما زال يغريه ويغريه حتى يهم بهذه الصور الرائعة التي تتراءى له، فإذا هَمَّ لم يجد إلا ظلالًا ووجد عندها ندمًا أليمًا.

ولم يكن عبث الشيطان بنفيسة أقل من عبثه بخالد، ولكنه كان من نوع آخر، فلم يكن الشيطان يغريها بفتنة ولا يدعوها إلى إثم، وإنما كان يعرض عليها صورتها البشعة في كل وجه توجه إليه طرفها، ثم يعرض عليها نساء حسانًا رائعات الحسن ويلقي في رُوعها أن زوجها يتمثلهن ويفكر فيهن ويتمنَّاهُنَّ، وأن أصدقاءه وأترابه والنساء من أسرته يغرونه على الزواج ويحرضونه على أن يُدخل عليها في دارها ضرة، ثم يصور لها حياة الضرائر وما يكون من هذا الحقد البغيض والتنافس المنكر في أحط ما يتنافسن فيه، وما يكون بينهن من الكيد والغدر، وما يدفعن إليه من الإثم والخزي، وكان الشيطان يتبع نفيسة حيثما وجهت من دارها، فلا تكاد تلقى زوجها حتى يصوره الشيطان لها منصرفًا عنها ضيقًا بها زاهدًا فيها، فلا تكاد تسمع صوت زوجها حتى يُخَيل الشيطان إليها أن هذا الصوت يقطر بغضًا لها ونفورًا منها، وكان الشيطان مع ذلك يذكي في نفسها غرائز الحب، فإذا هي لم تكلف قط بزوجها كما تكلف به الآن، ولم ترغب في التلطف له والرفق به كما ترغب فيهما الآن، ولم تحتج قط إلى حنان زوجها وعطفه كما تحتاج إليهما الآن، وكل ذلك مصروف عنها أشد الصرف وأقساه، وكذلك أصبحت الحياة جحيمًا بين الزوجين. ويروح خالد على أهله ذات ليلة، فإذا صعد في السلم سمع نشيجًا مؤلمًا، فيسرع الخطو، وإذا هو أمام امرأة قد نثرت شعرها، ومزَّقت ثوبها، وخمشت وجهها حتى أسالت منه الدم، وهي تضرب صدرها ضربًا عنيفًا، وتنتحب انتحابًا يفطر القلوب، فيقف خالد واجمًا أول الأمر، ثم يرفق بامرأته، ولا يزال يسألها عن أمرها حتى تُجيبه في شهقتين: تمثلت لي الليلة امرأة زعمت أنها جنية البيت، وأنها تسكن في حنايا السلم، وزعمت لي أنك قد تزوجت اليوم أو أنك متزوج غدًا، ثم تعود إلى شهيقها فتغرق فيه، وإلى وجهها وصدرها فتشبعهما لطمًا وصكًّا، وخالد يضرب إحدى يديه بالأخرى ويقول: إنا لله وإنا إليه راجعون!

ولم ينم خالد من ليلته، وإنما قام عند امرأته ذاكرًا لله تاليًا للقرآن، داعيًا مستعيذًا من الشيطان، واضعًا يده على رأس نفيسة، مؤمنًا بأن هذه الآيات والأدعية التي كان ينطلق بها لسانه في صوت مرتفع بعض الشيء فيه كثير من الإيمان وكثير من الخوف،